كامل كيلاني

قصص فكاهية

أبو الحسن

الطبعة الخامسة عشرة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

١ – «أَبُو ٱلْحَسَنِ» وَأَصْحابُهُ

نَشَأَ «أَبُو ٱلْحَسَنِ» فِي مَدِينَةِ «بَغْدادَ» فِي زَمَنِ ٱلْخَلِيفَةِ «هارُونَ الرَّشِيدِ» . وَكانَ أَبُوهُ غَنِيًّا جِدًّا ، فَلَمَّا ماتَ وَرِثَ مِنْهُ أَمْوالًا كَثِيرَةً . فَقَسَمَها قِسْمَيْنِ مُتَساوِيَيْنِ ، وَادَّخَرَ نِصْفَ ثَرْوَتِهِ ، وَوَقَفَ ٱلنِّصْفَ ٱلْآخَرَ عَلَى مَسَرَّاتِهِ وَمَباهِجِهِ . فاجْتَمَعَ حَوْلَهُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْأَصْحابِ ٱلَّذِينَ تَظاهَرُوا لَهُ بِالْحُبِّ وَالْإِخْلاصِ .

وَقَدْ أَنْفَقَ عَلَيْهِمْ نِصْفَ ثَرْوَتِهِ فِي زَمَنٍ قَلِيلٍ . ثُمَّ تَظاهَرَ لَهُمْ بِالْفَقْرِ ، فَهَجَرُوهُ وَامْتَنَعُوا عَنْ زِيارَتِهِ .

٢ – بَيْنَ «أَبِي ٱلْحَسَنِ» وَأُمِّهِ

فَذَهَبَ «أَبُو ٱلْحَسَنِ» إِلَى أُمِّهِ باكِيًا ، وَقَصَّ عَلَيْها غَدْرَ أَصْحابِهِ ٱلَّذِينَ هَجَرُوهُ لِفَقْرِهِ . فَقالَتْ لَهُ :

«إِنَّهُمْ لَمْ يُصاحِبُوكَ إِلَّا لِمالِكَ ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِفَقْرِكَ هَجَرُوكَ . فاحْتَفِظْ بِالنِّصْفِ ٱلْآخَرِ مِنْ ثَرْوَتِكَ ، وَانْتَفِعْ بِهٰذا ٱلدَّرْسِ ٱلْقاسِي ٱلَّذِي تَعَلَّمْتَهُ يا وَلَدِي .»

٣ — خُطَّةُ «أَبِي ٱلْحَسَنِ»

فَأَقْسَمَ «أَبُو ٱلْحَسَنِ» إِنَّهُ لَنْ يَعُودَ إِلَى مُصاحَبَةِ رِفاقِهِ ٱلْقُدَماءِ، وَلَنْ يُصاحِبَ — بَعْدَ ٱلْيَوْمِ — إِلَّا ٱلْغُرَباءَ ٱلَّذِينَ لا يَعْرِفُهُمْ، وَلَنْ تَدُومَ صُحْبَتُهُ مَعَ أَحَدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ لَيْلَةٍ واحِدَةٍ. فَكانَ يَقِفُ عَلَى ٱلْجِسْرِ وَقْتَ ٱلْغُرُوبِ. فَإِذا رَأَى غَرِيبًا قادِمًا عَلَيْهِ، دَعاهُ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَضافَهُ عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ طُولَ لَيْلَتِهِ. فَإِذا طَلَعَ ٱلصُّبْحُ وَدَّعَهُ وأَنْكَرَهُ، وَأَبَى أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ أَبَدًا. وَقَدْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِهٰذِهِ ٱلْخُطَّةِ سَنَةً كامِلَةً.

٤ — «هارُونُ ٱلرَّشِيدُ»

وَوَقَفَ «أَبُو ٱلْحَسَنِ» — عَلَى عادَتِهِ — ذاتَ مَساءٍ عِنْدَ ٱلْجِسْرِ، فَرَأَى ٱلْخَلِيفَةَ «هارُونَ ٱلرَّشِيدَ»، وَكانَ قَدْ خَرَجَ فِي زِيِّ تاجِرٍ قادِمٍ مِنَ «ٱلْمَوْصِلِ»، وَمَعَهُ خادِمُهُ. فَرَحَّبَ بِهِ «أَبُو الْحَسَنِ»، وَدَعاهُ إِلَى بَيْتِهِ، بَعْدَ أَنْ أَخَذَ عَلَيْهِ الْمَواثِيقَ أَنْ يَبِيتَ عِنْدَهُ لَيْلَةً واحِدَةً، ثُمَّ لا يَلْقاهُ بَعْدَها أَبَدًا. فَعَجِبَ

الْخَلِيفَةُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ هٰذا ، فَأَخْبَرَهُ «أَبُو الْحَسَنِ» بِقِصَّتِهِ كُلِّها . فاشْتَدَّ عَجَبُهُ ، وَسارَ مَعَهُ الْخَلِيفَةُ وَخادِمُهُ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْبَيْتِ . وَرَأَى الْخَلِيفَةُ مِنْ كَرَمِ «أَبِي الْحَسَنِ» ما أَدْهَشَهُ . فَسَأَلَهُ : «أَلا تَتَمَنَّى شَيْئًا يا أَبا الْحَسَنِ ؟» فَقالَ لَهُ : «أَتَمَنَّى أَنْ أُصْبِحَ خَلِيفَةً ، وَلَوْ يَوْمًا واحِدًا ، لِأُعاقِبَ خَمْسَةً مِنَ الْأَشْرارِ ، يَعِيشُونَ بِالْقُرْبِ مِنْ مَنْزِلِي ، وَيَدْخُلُونَ فِيما لا يَعْنِيهِمْ ، وَلا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ شَرِّهِمْ .»

٥ – فِي قَصْرِ الرَّشِيدِ

فَضَحِكَ الْخَلِيفَةُ مِنْ قَوْلِهِ ، وَعَزَمَ عَلَى تَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ .

ثُمَّ غافَلَهُ وَوَضَعَ دَواءً مُنَوِّمًا فِي شَرابِهِ ، فَلَمْ يَكَدْ يَشْرَبُهُ حَتَّى نامَ . فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ خادِمَهُ أَنْ يَحْمِلَ «أَبا الْحَسَنِ» إِلَى قَصْرِهِ ، وَيَضَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَيُلْبِسَهُ مَلابِسَهُ . ثُمَّ أَمَرَ كُلَّ مَنْ فِي قَصْرِهِ أَنْ يُطِيعُوا «أَبا الْحَسَنِ» فِي كُلِّ ما يَأْمُرُهُمْ بِهِ ، بَعْدَ أَنْ يُوهِمُوهُ أَنَّهُ هُوَ الْخَلِيفَةُ «هارُونُ الرَّشِيدُ» .



٦ – دَهْشَةُ «أَبِى الْحَسَنِ»

وَلَمْ يَكَدِ الْفَجْرُ يَطْلُعُ حَتَّى أَيْقَظُوهُ مِنْ نَوْمِهِ . فَدَهِشَ «أَبُو الْحَسَنِ» حِينَ رَأَى نَفْسَهُ فِي سَرِيرِ الْخَلِيفَةِ – وَهُوَ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ – وَحَوْلَهُ الْجَوارِى وَالْخَدَمُ يُنادُونَهُ خاشِعِينَ : «عِمْ صَباحًا يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» . وَظَنَّ «أَبُو الْحَسَنِ» أَنَّهُ فِي حُلْمٍ ، فَلَمَّا أَثْبَتُوا لَهُ أَنَّهُ يَقْظانُ ، وَأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ الْخَلِيفَةُ عَظُمَتْ دَهْشَتُهُ .



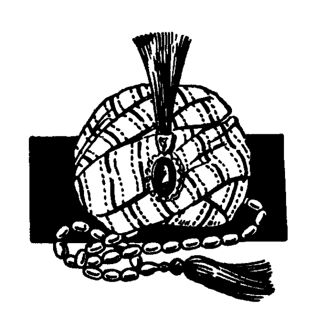
٧ – عَلَى عَرْشِ الْخَلِيفَةِ

ثُمَّ مَثَلَ الْوَزِيرُ « جَعْفَرٌ » بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقالَ لَهُ : « لَقَدِ اكْتَمَلَ الْمَجْلِسُ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » . ثُمَّ سارَ مَعَهُ حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى عَرْشِ الْخَلِيفَةِ ، وَهُوَ حائِرٌ ذاهِلٌ مِنْ شِدَّةِ الدَّهْشَةِ . وَكانَ الْخَلِيفَةُ



يُراقِبُهُ مِنْ نافِذَةٍ عالِيَةٍ ، وقَدْ تَمَلَّكَهُ السُّرُورُ والْفَرَحُ .

ولَمْ يَكَدْ «أَبُو الْحَسَنِ» يَجْلِسُ عَلَى الْعَرْشِ حَتَّى أَمَرَ كَبِيرَ الشُّرْطَةِ أَنْ يُنَكِّلَ بِأُولئِكَ الأَشْرارِ الْخَمْسَةِ ، أَعْني : يُعاقِبُهُمْ عِقابًا شَدِيدًا يَجْعَلُهُمْ عِبْرَةً لِغَيْرِهِمْ ، كَما أَمَرَهُ أَنْ يُعْطِيَ أُمَّ «أَبِي الْحَسَنِ» كِيسًا فِيهِ أَلْفُ دِينارٍ . وبَعد قَلِيلٍ ذَهَبَ «أَبُو الْحَسَنِ» إِلَى غُرْفَةٍ أُخْرَى ، فَحَضَرَتِ الْجَوارِي وَظَلِلْنَ يَعْزِفْنَ ى الْعُودِ وَيُغَنِّينَ أَحْسَنَ الْغِناء ، وَهُوَ لا يَعْرِفُ : أَهُوَ فِي يَقَظَةٍ أَمْ هُوَ حالِمٌ ؟



٨ - فِى بَيْتِ «أَبِى ٱلْحَسَنِ»

وَلَمَّا أَقْبَلَ ٱللَّيْلُ ، وَضَعُوا لَهُ فِى شَرَابِهِ دَوَاءً مُنَوِّمًا . فَلَمْ يَكَدْ يَشْرَبُهُ حَتَّى نَامَ ، فَحَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِهِ . وَلَمَّا طَلَعَ ٱلصُّبْحُ ، وَرَأَى نَفْسَهُ نَائِمًا عَلَى سَرِيرِهِ ، صَرَخَ مِنْ شِدَّةِ ٱلدَّهْشَةِ وَٱلْأَلَمِ . فَجَاءَتْهُ أُمُّهُ



وَسَأَلَتْهُ عَنْ سَبَبِ صِياحِهِ ، فَقالَ لَها : « أَلَسْتُ أَنا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : هارُونَ الرَّشِيدَ ؟ » . فَقالَتْ لَهُ : « هَلْ جُنِنْتَ يا وَلَدِى ؟ أَنْتَ أَبُو الْحَسَنِ » . فَقالَ لَها : « كَلَّا بَلْ أَنا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . » فَحاوَلَتْ أَنْ تُسَلِّيَهُ وَتُعِيدَ إِلَيْهِ عَقْلَهُ ، وَقَصَّتْ عَلَيْهِ ما نَزَلَ بِأَعْدائِهِ مِنْ عِقابٍ ، وَأَحْضَرَتْ لَهُ الْكِيسَ الَّذِى أَرْسَلَهُ إِلَيْها الْخَلِيفَةُ — أَمْسِ — وَفِيهِ أَلْفُ دِينارٍ . فَعَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حالِمًا ، وَقالَ لِأُمِّهِ : « الآنَ أَيْقَنْتُ أَنَّنِي أَنا الْخَلِيفَةُ ، وَقَدْ أَمَرْتُ — أَمْسِ — كَبِيرَ الشُّرْطَةِ بِضَرْبِ هٰؤُلاءِ الأَشْرارِ ، وَإِرْسالِ هٰذا الْكِيسِ إِلَيْكِ . »



٩ — الْبِيمارِسْتانُ

فَحاوَلَتْ أُمُّهُ أَنْ تُقْنِعَهُ بِأَنَّهُ واهِمٌ فِي ظَنِّهِ، فاشْتَدَّتْ ثَوْرَتُهُ وَهِياجُهُ. وَأَقْبَلَ الْجِيرانُ يَسْأَلُونَ عَنِ الْخَبَرِ، وَما كادُوا يَسْمَعُونَ قَوْلَهُ: إِنَّهُ الْخَلِيفَةُ حَتَّى اعْتَقَدُوا أَنَّهُ جُنَّ. فَحَمَلُوهُ إِلَى الْبِيمارِسْتانِ حَيْثُ قَضَى شَهْرًا. وَلَمْ يُخْلُوا سَبِيلَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ عادَ إِلَيْهِ رُشْدُهُ وَقَرَّرَ لَهُمْ أَنَّهُ «أَبُو الْحَسَنِ».



١٠ – بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَأَبِي الْحَسَنِ

ثُمَّ خَرَجَ «أَبُو الْحَسَنِ» – عَلَى عادَتِهِ – إِلَى جِسْرِ «بَغْدادَ» فَلَقِيَ الْخَلِيفَةَ مَرَّةً ثانِيَةً ، وَهُوَ فِي زِيٍّ تاجِرٍ ، فَحَيَّاهُ الْخَلِيفَةُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ تَحِيَّتَهُ . فَظَلَّ الْخَلِيفَةُ يَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ حَتَّى رَضِيَ عَنْهُ «أَبُو الْحَسَنِ» ، وَدَعاهُ إِلَى بَيْتِهِ ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِما حَدَثَ لَهُ . فَتَأَلَّمَ الْخَلِيفَةُ لِما أَصابَهُ .

١١ – فِي قَصْرِ الْخَلِيفَةِ

وَلَمَّا جاءَ وَقْتُ النَّوْمِ أَلْقَى الْخَلِيفَةُ الدَّواءَ فِي شَرابِ «أَبِي الْحَسَنِ» ، فَقامَ الْخادِمُ وَحَمَلَهُ إِلَى الْقَصْرِ . وَجاءَ الصَّباحُ فَأَيْقَظُوهُ . وَرَأَى نَفْسَهُ فِي قَصْرِ الْخَلِيفَةِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَالْجَوارِي حَوْلَهُ يُحَيِّينَهُ . فارْتَبَكَ «أَبُو الْحَسَنِ» ، وَكادَ يُجَنُّ مِنَ الدَّهْشَةِ ، وَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ فِي مَنامٍ . ثُمَّ غَنَّتْهُ الْجَوارِي ، وَأَقْبَلْنَ عَلَيْهِ باسِماتٍ . وَجاءَهُ الْوَزِيرُ «جَعْفَرٌ» يُحَيِّيهِ . فَقالَ «أَبُو الْحَسَنِ» : «مَنْ أَنا ؟ أَتُرانِي حالِمًا ؟» فَقالَ لَهُ : «أَنْتَ الْخَلِيفَةُ هارُونُ الرَّشِيدُ» . فَقالَ

«أَبُو الْحَسَنِ» لِأَحَدِ الْخَدَمِ : «إِذا كُنْتُ أَنا في يَقَظَةٍ فَعَضَّ أُذُنِي ، لِأَثِقَ بِأَنَّنِي يَقْظانُ ، وَأَتَثَبَّتَ مِنْ أَنَّنِي لَسْتُ في حُلْمٍ» .
فَعَضَّ الْخادِمُ أُذُنَهُ . فَصَرَخَ «أَبُو الْحَسَنِ» مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ ، وَقالَ : «الْآنَ عَرَفْتُ أَنَّنِي لَسْتُ نائِمًا ، وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ حالِمًا . الْآنَ أَدْرَكْتُ أَنَّنِي الْخَلِيفَةُ هارُونُ الرَّشِيدُ .»





وَظَلَّ «أَبُو الْحَسَنِ» يَعْجَبُ مِمَّا يَراهُ فِي قَصْرِ الْخَلِيفَةِ ، وَهُوَ يَتَرَدَّدُ فِي تَصْدِيقِ ما تَراهُ عَيْناهُ وَتَسْمَعُهُ أُذُناهُ . ثُمَّ صاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ ، وَقَدْ كادَ يُجَنُّ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ :

« لا شَكَّ فِي أَنَّنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلا رَيْبَ فِي أَنَّنِي لَسْتُ أَبا الْحَسَنِ ! »

١٢ – خاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَكانَ الْخَلِيفَةُ يَرَى ذٰلِكَ كُلَّهُ وَيَسْمَعُهُ . فَدَخَلَ الْغُرْفَةَ ، وَقَدْ كادَ يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الضَّحِكِ .

فَعَرَفَهُ « أَبُو الْحَسَنِ » ، وَأَدْرَكَ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ ، وَارْتَمَى عَلَى قَدَمَيْهِ يُقَبِّلُهُما . وَفَرِحَ بِهِ الْخَلِيفَةُ وَعانَقَهُ ، وَغَمَرَهُ بِالْهَدايا وَالْمالِ ، وَاتَّخَذَهُ نَدِيمًا لَهُ مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ .



محفوظات

الطّالبُ النَّشِيطُ

أنا لا زِلْتُ تِلْمِيذًا صَـــغِيرًا　　وَلٰـكِنِّى – عَلَى صِغَرِى – مُجِدٌّ
أَسِيرُ إِلَى الْعُـلا سَيْرًا حَثِيثًا　　وَأَنْشَطُ – نَحْوَ غايَتِها – وَأَعْدُو
وَلَيْسَ يَضِيرُنِى صِغَرِى ، إِذا لَمْ　　يُثَبِّطْنِى عَنِ الْعَلْياء جُهْدُ
وَما يُغْنِى الْفَتَى طُولٌ وَعَرْضٌ ،　　إذا لَمْ يُغْنِهِ فَهْمٌ وَرُشْدُ
فَلَيْسَ يُقاسُ إِنْسانٌ بِشِـــبْرٍ　　لِيُعْرَفَ قَدْرُهُ ، إِن جَدَّ جِدُّ
ونَبْتُ الْقَمْحِ مُرْتَفِعٌ قَلِيلًا ،　　ولٰـكِنْ هَلْ لَهُ فِى النَّفْعِ حَدٌّ ؟
هُوَ الْقُوتُ الَّذِى نَحْيا جَمِيعًا　　بِهِ ، وَهُوَ الّذِى ما مِنْهُ بُدٌّ
وقَدْ يَعْـــلُو سَنابِلَهُ نَباتٌ　　قَلِيلُ النَّفْعِ ، يُعْجِبُ حِينَ يَبْدُو
وكَمْ عُودٍ مِنَ الْقَصَبِ اعْتَلاهُ　　وَما هُوَ – رِفْعَةً – لِلْقَمْحِ نِدُّ
وفَخْرُ الْمَرْءِ عِـــلْمٌ يَبْتَغِيهِ ،　　وإِخْلاصٌ يُحَلِّيهِ ، وكَدُّ

* * *

وسَوْفَ أَكُونُ مِثْلَ الْقَمْحِ نَفْعًا ،　　وقِدْمًا أَحْرَزَ السَّـــبْقَ الْمُجِدُّ
وتُدْرِكُ هِمَّتِى شَرَفًا ومَجْدًا ،　　وحَسْبِى – غايَةً – شَرَفٌ ومَجْدُ

رقم الإيداع	١٩٨٩ / ٥٦٣٦
الترقيم الدولى	٩٧٧-٠٢-٢٧١٤-٥ ISBN

١ / ٨٩ / ٨٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)